أطفالنا
في رحاب
القرآن
الكريم



آيات وقصة

صَاحِبُ الجَنَّتَيْن

رزق هيبة



أطفالنا في رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة

٧٥

صاحب الجنتين

رزق هيبة

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة
ت: ٢٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٢٧٥٢٧٣٥
٦ أ شارع جواد حسني - ت: ٢٣٩٣٠١٦٧
www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

«أولادنا»

أمانة غالية، نعمة اللَّه، أمرنا بالحفاظ عليهم، ورعايتهم بالتربية السليمة. . وهذه السلسلة:

– تربِّى أولادَنا تربية إسلاميَّةً تعتمدُ عَلَى هُدًى مِنْ كِتابِ اللَّه «القرآن الكريم» تعرِضُ القصصَ على حسَبِ ترتيب المصْحَف لتكوِّنَ فى النهاية «التفسيرَ القصَصىَّ للقرآنِ الكريمِ للناشئينَ» وهمْ فى حَاجَةٍ ماسَّةٍ إلَى هذا التفسير الذى يَصِلُهمْ بماضِيهِمْ العريقِ، ويعدُّهُمْ لحاضِرِهمْ ومُسْتَقْبَلِهِمْ.

– وفى هذه الطَّبعة الجَديدَة حَرِصْنَا أنْ تكونَ الفائدةُ أكبَر، فقدَّمنا فِى آخرِ كلِّ قصَّة ملحقًا منْ شقَّيْنِ. . الشقُّ الأوَّلُ عدَّةُ أَسْئِلَة تَحْفزُ القَارِئَ عَلَى أنْ يُعيدَ القراءَةَ ويتأمَّلَ القصَّةَ جَيداً ليجيبَ عن هذه الأسئِلَة، فتستقرَّ المعَانى فى ذِهْنِه، ويزيدَ عِلْمًا بمَا فيها مِنْ قِيمَةٍ دينيةٍ هى الثمرةُ التى نَرْجُوْهَا من نشْر هذِهِ القصَصِ.

– أما الشقُّ الثانى من الملحَقِ فهوَ دُروسٌ فى قواعد اللغَة العربيَّة «علم النَّحْوِ» إذا تَتبَّعهَا القَارِئ دَرْسًا بَعْدَ درسٍ من بدايَة السِّلْسلة إلَى آخِرهَا يَصِيرُ عَلَى عِلْمٍ بالحدِّ الأدْنَى مِنْ قواعِد النحوِ التِى لا يَنْبَغِى لقَارِئ أنْ يجهلَها، فيستقيمَ لِسَانُهُ، وتسلَمَ قراءَتُهُ مِنَ اللَّحْنِ والخطَأ. .

وبهذه القصَصِ وما يَتبَعُهَا من دُروسٍ فى اللغَة نكونُ قَد حصلْنَا عَلَى فَائدة مزدوجَة، مِنْ قيمٍ دينيةٍ ومعرفَةٍ بقواعد لغتنَا، وَهُوَ مَا يَنْبَغِى أنْ نربى عَلَيْه أجْيَالَ أبْنَائنَا القَادمة. . فنستعيدَ مجدَ الماضِى عَلَى أسُسٍ مِنْ حَضَارَةِ المسْتَقْبَلِ. . ﴿**رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ وَٱضْرِبْ
لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا
بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ
تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ
لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾
وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ
أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى
لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ
أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا
﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ
دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠
أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن
جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا
زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾
وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ
عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ
فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ الكهف

معانى الكلمات:

١- **جَعَلْنَا لأحَدهمَا جَنَّتَيْنِ**: الجنة هى الحديقة، أو البستان الكبير، وسُمِّيت جنة لأنها تُجنُّ ما بداخلها، أى تستره، وكل ما يُشْتَقُّ من مادَّة (ج ن ن) يكون بمعنى الستر، أى الخفاء عن الأعين، فالجنون آفةٌ تستر العقل، والجنين هو المستور فى بطن أمه، والجنينة هى الحديقة.

٢- **حَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ**: جعلنا على حوافهما نخلاً كأنه السور حولهما.

٣- **كِلْتَا الجَنَّتَيْنِ**: كل واحدة من الجنتين، (ولفظ) كلتا يدل على المثنى المؤنث، أما لفظ (كلا) فيدل على المثنى المذكر.

٤- **آتَتْ أُكُلَهَا**: أثمرت وأعطت صاحبها نتاجها.

٥- **وَلَمْ تَظْلم منْهُ شَيْئًا**: وَلَم تنقص منه شيئًا.

٦- **وَفَجَّرْنَا خلالَهُمَا نَهْراً**: شققنا وأجرينا نهراً بين الجنتين.

٧- **وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ**: مرتكب خطأ أوقع به الظلم على نفسه لأنه هو الذى سينال عقابه ويشقى به.

٨- **تَبِيد**: تفنى وتزول.

٩- **مَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائمَةً**: لا أعتقد أن القيامة ستقوم كما يقول الناس.

١٠- **وَلَئن رُددْتُ إِلَى رَبِّى**: إن صدق القول وقامت القيامة وعدت إلى الله.

١١- **لأَجدَنَّ خَيْراً منْهَا مُنْقَلَبًا**: فسأجد هناك أيضًا جنة خيراً من هذه الجنة.

١٢- **حُسْبَانًا**: جمع مفرده حسبانة، وهى السحابة العظيمة، أو الصاعقة تنزل من السماء.

١٣- **صَعيداً زَلَقًا**: أرضًا بيضاء لا زرع فيها ولا نبات.

١٤- **غَوْراً**: غائراً ذاهبًا فى باطن الأرض لا يمكن الانتفاع به.

١٥- **أُحيطَ بثَمَرِه**: أهلك اللّه هذا الثمر.

١٦- **يُقَلِّبُ كَفَّيْه**: يضرب كفا بكف بسبب ندمه وغيظه.

١٧- **خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا**: خاليةٌ، ساقط بعضها فوق بعض، فهى أعواد جافة وهشيمٌ تذرُوهُ الرِّياح.

بَعدَ صَلاةِ العِشَاءِ، وكَالعَادَةِ فِى كُلِّ لَيْلَةٍ، اجْتَمَعَت الأُسْرَةُ، وبَدَأَتْ سَهْرَتَهَا مَعَ كِتَابِ اللَّه، القُرآنِ الكَرِيمِ، وَبَادَرَ أيمنُ يَتْلُو آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ الكَهْفِ، إِلَى أنْ وَصَلَ إِلَى قَوْلِ اللَّه تَعَالَى : ﴿ **هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا** (٤٤) ﴾ [الكهف] .

قَالَ الوَالِدُ : صَدَقَ اللَّهُ العَظِيمُ، ولْنَتَأَمَّلْ هَذِهِ الآيَاتِ الكَرِيمَاتِ، ونُحَاوِلُ أنْ نَرْبِطَهَا بِمَا تَلَوْنَاهُ، ومَا قَصَصْنَاهُ فِى جلستِنَا مِنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ الكَهْفِ، هَؤُلاءِ الفِتْيَةُ الَّذِين آمَنُوا بِرَبِّهِمْ، وَزَادَهُمُ اللَّهُ هُدًى .

قَالَ أَيْمَنُ : وَمَا العَلاقَةُ بَيْنَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ وَقِصَّةِ أصْحَابِ الكَهْفِ ؟

قَالَ الوَالِدُ : العَلاقَةُ هِىَ التَّفْرِقَةُ بَيْنَ الإِيمَانِ وَالكُفْرِ، بَيْنَ الإِقْرَارِ بالحَقِّ وَنُكْرَانِه، وَأنَّ الإِنسَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ أنْ يَتَأَمَّلَ فِى الكَوْنِ وَالكَائِنَاتِ مِنْ حَوْلِه، لِيَسْتَدِلَّ عَلَى أنَّ لَهُ خَالِقًا أنْشَأَهُ مِنَ العَدَمِ، وَقَادِراً عَلَى إِفْنَائِه، وأَنَّ هَذَا الخَالِقَ لَمْ يَخْلُقِ النَّاسَ عَبَثًا وَلَنْ يَتْرُكَهُمْ سُدًى، وَأنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، عَادِلٌ، وَمِنْ مُقْتَضَى عَدْلِه أنْ يَبْعَثَ النَّاسَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ فَيحَاسِبَهُمْ عَلَى مَا فَعَلُوهُ فِى دُنْيَاهُمْ، وأَنَّهُ يَجِبُ أنْ يَتَّخِذُوا العِظَةَ وَالعِبْرَةَ مِنْ قِصَّةِ أَهْلِ الكَهْفِ الَّتى جَعَلَهَا اللَّهُ دَلِيلاً عَلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَذَلِكَ فِى قَوْلِه تَعَالَى : ﴿ **وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا** ... (٢١) ﴾ [الكهف]، وَفِى الآيَاتِ الَّتى مَعَنَا بِالبَعْثِ أيْضًا، إِذْ كَانَ وَاحِدٌ مِنْ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ لا يُؤْمِنُ بِالبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَيَقُولُ أَنَّهُ لا حِسَابَ

وَلا عِقَابَ، وَيَظُنُّ أَنَّهُ حَتَّى لَوْ أنَّ القِيَامَةَ قَامَتْ، وَبَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى حَيَاةٍ أُخْرَى، فَسَوْفَ يَكُونُ هُنَاكَ أَسْعدَ حَالاً، لأَنَّهُ – كَمَا يَزْعُمُ لِنَفْسِهِ – أغْنِيَاءُ الدُّنْيَا سَيكُونُونَ أغْنيَاءَ الآخِرَةِ أَيْضًا، وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُعَاقِبُهُ عَلَى الظَّنِّ فَيُدَمِّرُ أَمْوَالَهُ وَبَسَاتِينَهُ، لِيَعْلَمَ أنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى أجْسَامِ النَّاسِ وَأَمْوَالِهِمْ وَصُوَرِهِمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِهِمْ وَأعْمَالِهِمْ، وَأَنَّهُ يَجْزِيهِمْ عَلَى مَا فِي نِيَّاتِهِمْ، وَبِقَدْرِ إِخْلاصِهِمْ فِيمَا يُقَدِّمُونَ مِنْ أعْمَالٍ.

قَالَ أَيْمَنُ: وَهَلْ هَذَانِ الرَّجُلانِ لَهُمَا ذِكْرٌ فِي التَّارِيخِ؟ هَلْ لَهُمَا أسمَاءُ، وَمَوْطِنٌ كَانَا يَعِيشَانِ فِيهِ فِي زَمَنٍ مُعَيَّنٍ؟

قَالَ الوَالِدُ: الحَقِيقَةُ أنَّ الأَسْمَاءَ لَيْسَتْ بِذَاتِ أَهَمِيَّةٍ كَبِيرَةٍ، وَإِنْ كَانَ مِنَ اللازِمِ ذِكْرُهَا إِذَا عُرِفَتْ لِكَيْ تَكُونَ سَنَدًا لِلقِصَّةِ وَدَلِيلاً عَلَى وُقُوعِهَا، وَالقُرآنُ الكَرِيمُ هُوَ كِتَابُ اللَّهِ الصَّادِقُ فِيمَا يُخْبِرُنَا بِهِ، وَإِذَا أَخْفَى أسماءَ أبطالِ بَعْضِ القِصَصِ المذْكُورَةِ فِيهِ فَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ لِيَلْفِتَنَا إِلَى أنَّ المهِمَّ فِي القِصَّةِ هُوَ الموْعِظَةُ الَّتِي تَتَضَمَّنُهَا.. وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدِ اخْتَلَفَ المفَسِّرونَ فِي اسْمَيْ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، قَالَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُمَا كَانَا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُمَا كَانَا أَخَوَيْنِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَسَوَاءٌ أَكَانَا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَدْ جَعَلَهُمَا اللَّهُ مَثَلاً لِكُلِّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَلِكُلِّ مَنْ كَفَرَ، لِكَيْ نَتَأَمَّلَ قِصَّتَهُمَا، وَيَكُونَ لَنَا فِيهَا مَوْعِظَةٌ وَعِبْرَةٌ، فَنَتَّبِعَ

طَرِيقَ المؤْمِنِينَ، وَنَبْتَعِدَ عَنْ طَرِيقِ المنْحَرِفِينَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ اللَّهَ وَالدَّارَ الآخِرَةَ، وَلا يُؤْمِنُونَ بِالبَعْثِ وَالنُّشُورِ.

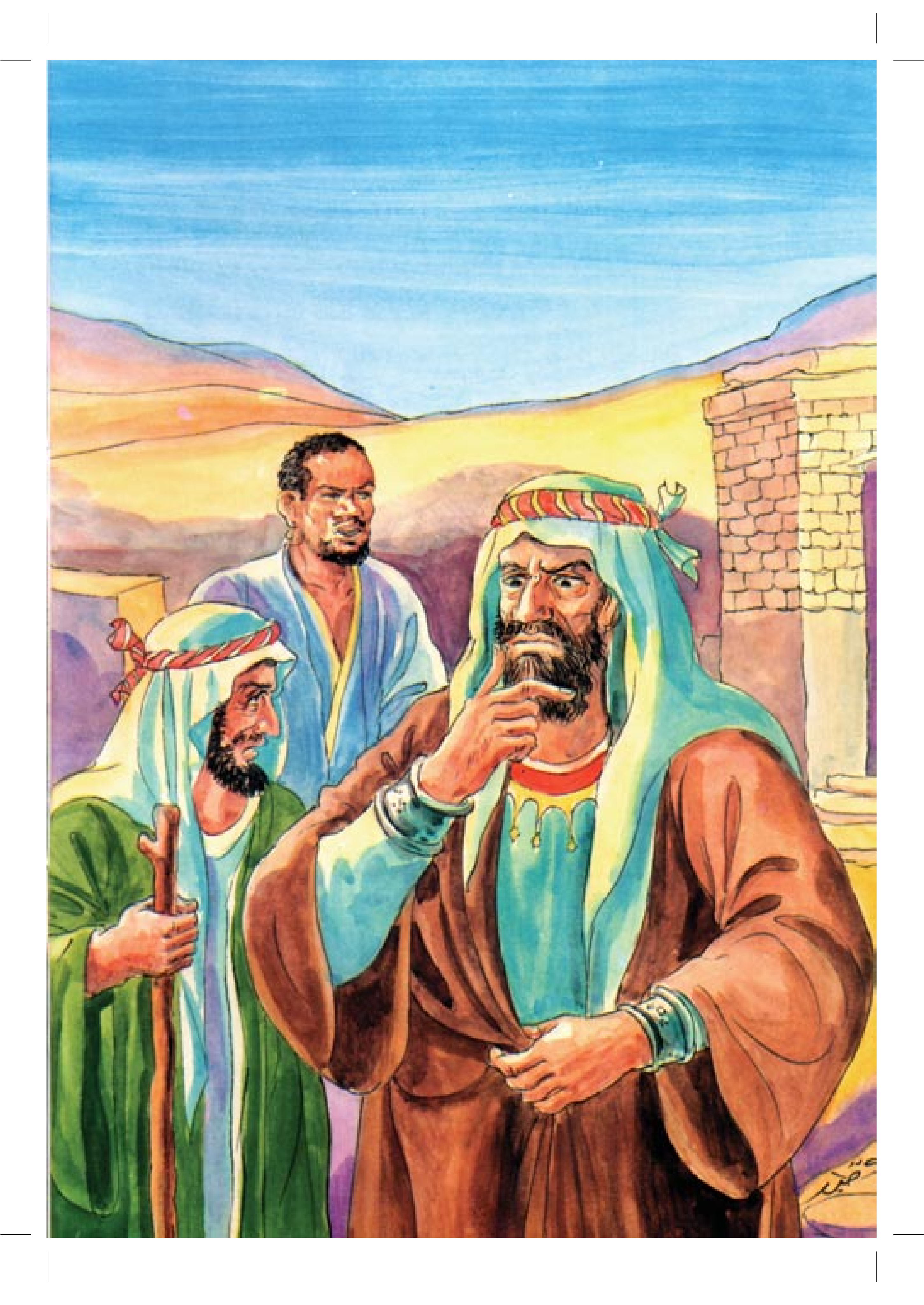
قَالتْ إِيمَانُ: أَعْتَقِدُ أنَّ هَذَا صَحِيحٌ يَا أَبِى، يُؤَكِّدُ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّه تَعَالَى: ﴿ **أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** (٩) ﴾ [الروم]، وَالسَّيْرُ فِى الأرْضِ الَّذِى جَاءَ بِهِ الأَمْرُ فِى الآيَةِ الكَرِيمَةِ لا يُشْتَرَطُ فِيهِ أَنْ يَكُونَ سَيْرًا بِالأَقْدَامِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بِأىِّ أدَاةٍ نَعْرِفُ بِهَا قِصَصَ السَّابِقِينَ، كَقِرَاءَةِ التَّارِيخِ مَثَلاً، وَمَعْرِفَةِ هَذِهِ القَصَصِ وَتَأمُّلِهَا؛ لِنَعْرِفَ فِى النِّهَايَةِ كَيْفَ كَانَتْ العَاقِبَةُ لِلمتَّقِينَ، وَكَيْفَ كَانَ الهلاكُ وَالدَّمَارُ لِلطُّغَاةِ وَالمتكَبِّرِينَ.

قَالَ الوَالِدُ: فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكِ يَا بُنَيَّتِى، وَعَلَّمكِ مَا لا تَعْلَمِينَ، وَنَفْعكِ بِمَا عَلَّمَكِ، وَالآنَ، سَنَتَّبِعُ رَأىَ مَنْ قَالُوا أنَّ هَذَيْنِ الأَخَوَيْنِ كَانَا مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ، وَنَنْظُرُ مَاذَا كَانَتْ قِصَّتُهُمَا.

قَالَ الأوْلادُ مَعًا: كُلُّنَا آذَانٌ مُصْغِيَةٌ، وَعُقُولٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَاعِيَةٌ، فلْيَتَفَضَّل الوَالِدُ العَزِيزُ بِسَرْدِ قِصَّةِ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ.

❊ ❊ ❊

اعْتَدَلَ الوَالِدُ فِى جِلْسَتِهِ، وَكَأنَّهُ يَبْدَأُ السَّهْرَةَ مِنْ أَوَّلِهَا، وَأَطْرَقَ مُفَكِّرًا هُنَيْهَةً.. ثُمَّ رَفَعَ رَأسَهُ، وَقَالَ:



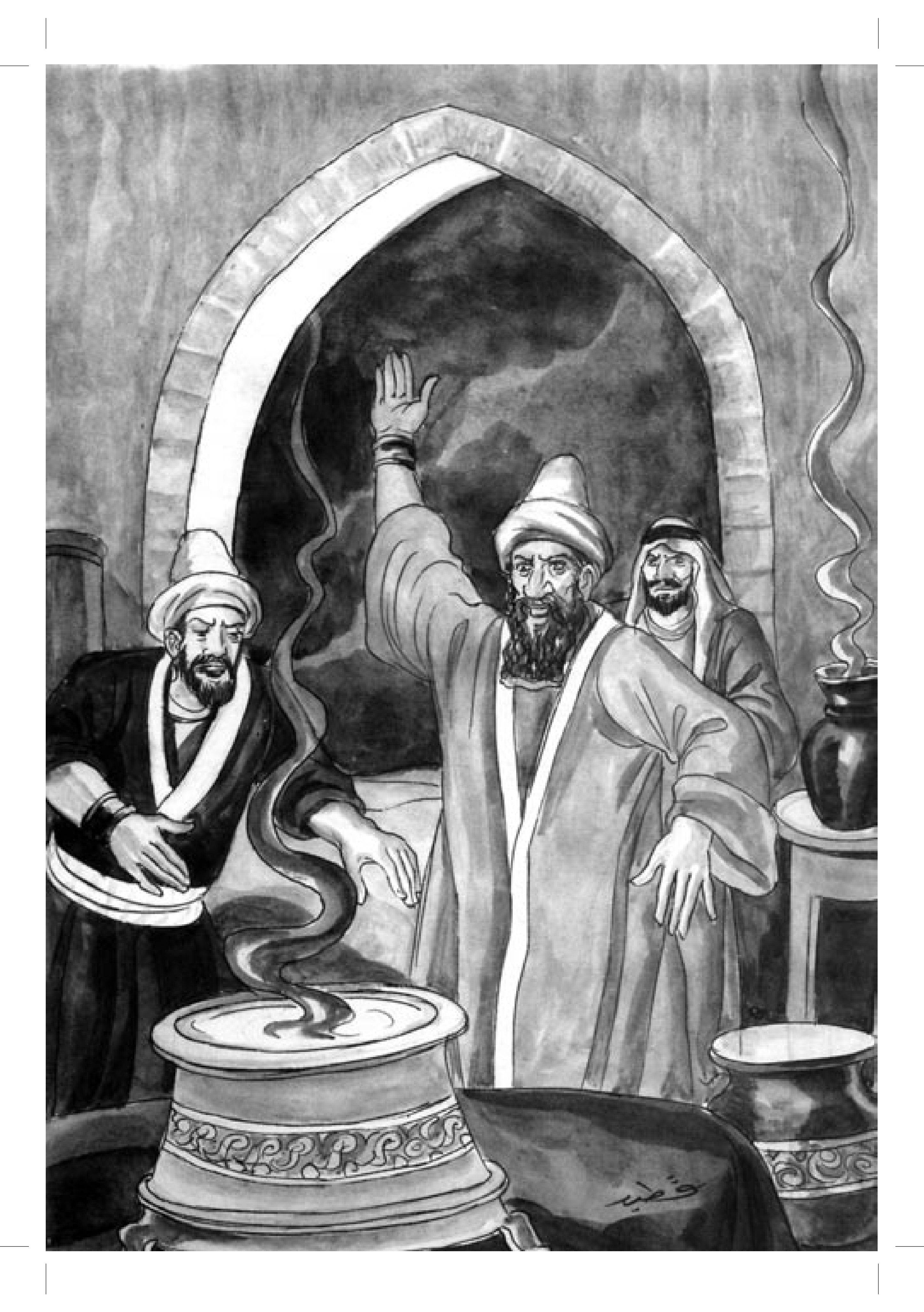
نذْكُرُ قِصَّةَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ كَمَا وَرَدَتْ فِى تَفْسِيرِ القُرْطُبِىِّ عَنْ ذَلِكَ الحِوَارِ الَّذِى دَارَ بَيْنَهُمَا كَمَا ذَكَرَتْهُ الآيَاتُ الكَرِيمَاتُ فِى سُورَةِ الكَهْفِ.

قَالَ القُرْطُبِىُّ، فِى كِتَابِهِ (الجَامِعُ لأَحْكَامِ القُرآنِ) مَا مُلخَّصُهُ وتَوْضِيحُهُ كَمَا يَلِى:

قِيلَ أَنَّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ كَانَا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَحَدُهُمَا مُؤْمِنٌ، وَهُوَ أَبُو سَلَمَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عبد الأسَد، كَانَ زَوْجًا لأُمِّ سَلَمَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَلَمَّا مَاتَ تَزَوَّجَهَا النَّبِىُّ ﷺ، صَوْنًا لَهَا مِنَ الضَّيَاعِ وَالحَاجَةِ بَعْدَ مَوْتِ زَوْجِهَا، أمَّا الآخَرُ الكَافِرُ فَهُوَ أخُو أَبِى سَلَمَةَ، واسْمُهُ الأسْوَدُ بْنُ عَبدِ الأسَدِ، وَرِثَ كُلٌّ مِنْهُمَا أَرْبَعَةَ آلافِ دِينَارٍ، وَاسْتَثْمَرَ كُلٌّ مِنْهُمَا مَالَهُ بِطَرِيقَتِهِ الخَاصَّةِ، أمَّا المؤْمِنُ وَهُوَ أَبُو سَلَمَةَ فَقَدْ أَنْفقَ مَالَهُ كُلَّهُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ، وَعِنْدَ الحَاجَةِ طَلَبَ مِنْ أَخِيهِ الأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ الأَسَدَ المعُونَةَ وَالمسَاعَدَةَ فَنَهَرَهُ وَلَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا.

وَقَالَ المفَسِّرُونَ أنَّ الآيَاتِ لَمْ تَقْصِدْ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ بِالتَّحْدِيدِ، وَإِنَّمَا هِىَ تُشَبِّهُهُمَا بِرَجُلَيْنِ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ حَدَثَ لَهُمَا وَمِنْهُمَا مِثْلُ مَا حَدَثَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الأَسَدِ، وَأَخِيهِ الأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ الأسَدِ، وَالآيَاتُ تَذْكُرُ ذَلِكَ الحِوَارَ الَّذِى دَارَ بَيْنَ الأخَوَيْنِ الإِسْرَائِيلِيَّيْنِ.

كَانَ الأوَّلُ مُؤْمِنًا، اسْمُهُ يَهُوذَا، وكَانَ الثَّانِى كَافِرًا، اسْمُهُ قَطْرُوسُ، مَاتَ أَبُوهُمَا وَتَرَكَ لَهُمَا مَالاً كَثِيرًا، اقْتسمَاهُ فِيمَا بَيْنَهُمَا، فَكَانَ نَصِيبُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ثَلاثَةَ آلافِ دِينَارٍ، قَبَضَهَا إِلَيْهِ، وَرَاحَ يُصْلِحُ بِهَا حَالَ



دُنْيَاهُ، وكَانَ لِكُلٍّ منهُمَا طَرِيقَتُهُ الخَاصَّةُ فِى اسْتِثْمَارِ هَذَا المَالِ، أمَّا المؤْمنُ فَقَدْ عزَمَ عَلَى أنْ تَكُونَ تِجارَتُهُ مَعَ اللَّه، مُوقنًا بِأَنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ المؤْمنينَ أنْفُسَهُمْ وَأمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ، فَكَانَ يُنْفِقُ فِى سَبِيلِ اللَّه إنْفَاقَ مَنْ لا يَخْشَى الفَقْرَ، فَجَعَلَ أمْوَالَهُ ثَلاثَةَ أقْسامٍ، كُلُّهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّه، وَادِّخَاراً لِلآخِرَةِ، فَاشْتَرَى عَبِيداً بِألْفِ دِينَارٍ، وَأَعْتَقَهُمْ، وَاشْتَرَى بِالأَلْفِ الثَّانِيَةِ ثِيَابًا كَسَا بِهَا العراةَ مِنَ الفُقَرَاءِ الَّذِينَ يعيشُونَ حَوْلَهُ، أمَّا الأَلْفُ الثَّانِيَةُ فَقَد اشْتَرَى مِنْهَا طَعَامًا، فَأطعَمَ الجَائِعِينَ، وَبَنَى مَسَاجِدَ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّه تَعَالَى، وَفَعَلَ كَثِيراً مِنَ الخَيْرِ، أفَادَ بِهِ مُجْتَمَعَهُ، حَتَّى نَفَدَ ذَلِكَ المَالُ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ مِنْهُ شَىْءٌ.

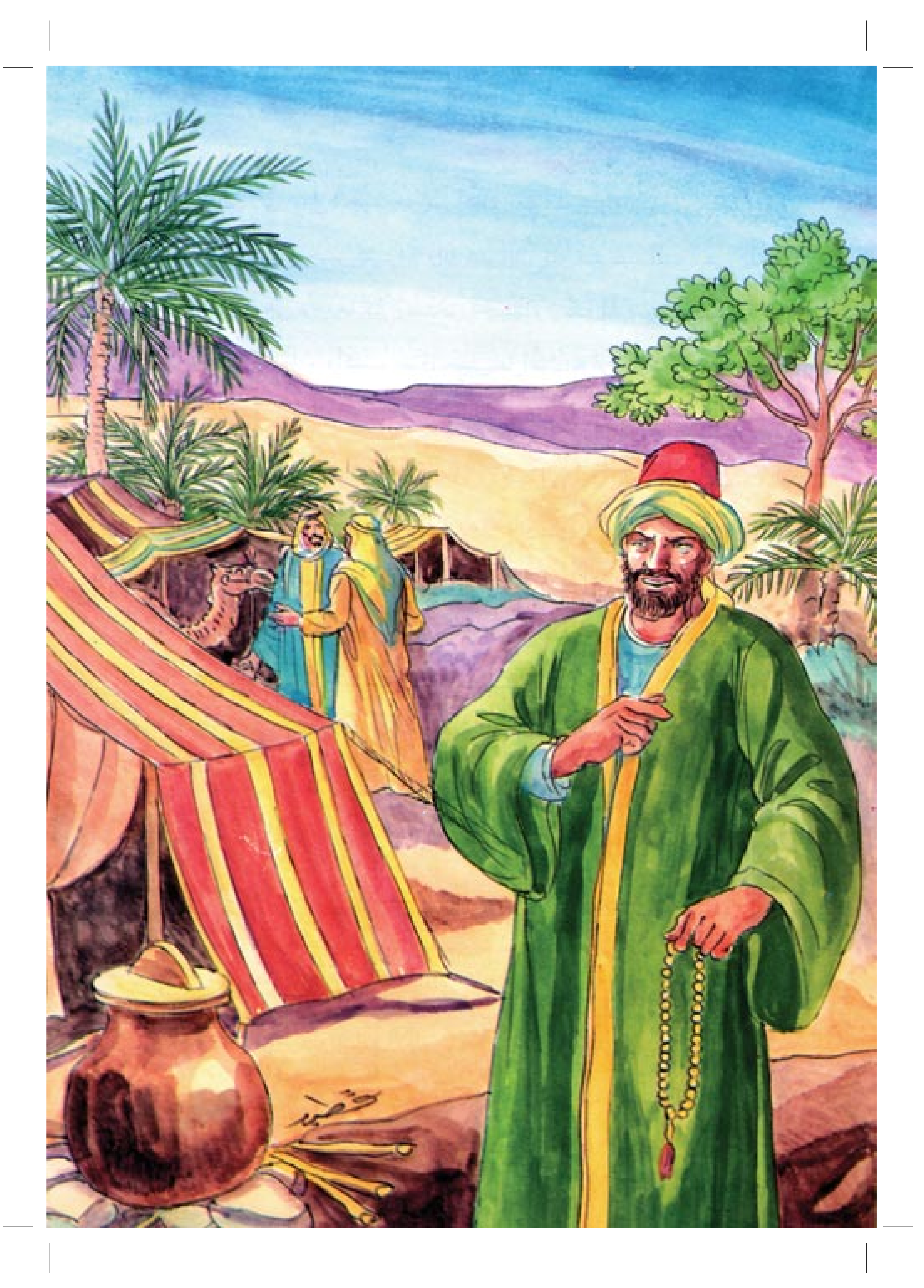
قالتْ إيمَانُ: وَهَلْ كَانَتْ هُنَاكَ مَسَاجِدُ قَبْلَ ظُهُورِ الإِسْلامِ؟

قَالَ الوَالِدُ: إنَّ لَفْظَ مَسجدٍ يَعْنِى مَكَانَ السُّجُودِ لِلَّه رَبِّ العَالَمِينَ، وَمَا مِنْ نَبِىٍّ أرْسَلَهُ اللَّهُ إلا أَمَرَ قَوْمَهُ بِالصَّلاةِ وَمَا فِيهَا مِنْ رُكُوعٍ وَسُجُودٍ، وَكُلُّ مِلَّةٍ تُسَمَّى مَكَانَ عِبَادَتِهَا بِاسْمٍ خَاصٍّ حَسَبَ لُغَتِهَا وَعُرْفِهَا، فَاليهُودُ يُسَمُّونَهُ مَعْبَداً أَوْ كَنِيساً أَوْ بَيْتَ المِدْرَاسِ، وَالنَّصَارَى يُسَمُّونَهُ كَنِيسَةً، وَهُنَاكَ الدَّيْرُ وَالبَيْعَةَ والصَّوْمَعَةُ إِلَى آخِرِ هَذِه الأَسْمَاءِ، أمَّا نَحْنُ المُسْلِمِينَ فَنُسَمِّى مَكَانَ عِبَادَتِنَا مَسْجِداً، وَإِذَا كَانَ المَسْجِدُ كَبِيراً وَتُصَلَّى فِيهِ الجمعَةُ يُسَمَّى الجَامِعَ، وَحَسَبَ لُغَتِنَا العَرَبِيَّةِ فَإِنَّ كُلَّ مَكَانٍ يَسْجُدُ فِيهِ إِنْسَانٌ لِلَّه نُسَمِّيهِ مَسْجِداً.

قَالَ أَشْرَفُ: لِنَعُدْ إِلَى الأخِ الثَّانِي وَنَرَى مَاذَا فَعَلَ بِمِيرَاثِه.

قَـالَ الوَالِدُ: هَذَا الأخُ الثَّـانِي هُوَ قَطْرُوسُ الكَافِـرُ، كَـانَ مِنَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ غَافِلُونَ، وبحسَبِ مَعْرِفَتِه عَنْ ظَاهِرِ الحَيَاةِ الدُّنيَا اسْتَثْمَرَ أَمْوَالَهُ، لَمْ يَبْتَغِ فِيهَا وَجْهَ اللَّه تَعَالَى، وَلَمْ يَدَّخِرْ مِنْهَا شَيْئًا لآخِرَتِه، فَاخْتَارَ النِّسَاءَ الغَنِيَّاتِ ذَوَاتِ اليَسَارِ وَتَزَوَّجَ بِهِنَّ، وَضَمَّ أَمْوَالَهُنَّ إِلَى أَمْوَالِه، واشْتَرَى دَوَابَّ وَبَقَرًا، فَأَنْتَجَتْ لَهُ وَنَمَتْ نَمَاءً كَبِيرًا، وَتَاجَرَ بِبَعْضِ أَمْوَالِه فَرَبِحَ أَرْبَاحًا عَظِيمَةً، فَاقَ بِهَا أَهْلَ زَمَانِه غِنًى وَثَرَاءً، وَكَانَ كَالعَطْشَانِ الَّذِى يَشْرَبُ مَاءً مَالِحًا، وَكُلَّمَا شَرِبَ ازْدَادَ عَطَشًا فَازْدَادَ شُرْبًا، وَكُلَّمَا ازْدَادَ مَالُهُ ازْدَادَ طَمَعًا، وَظَنَّ أَنَّهُ بِذَلِكَ قَدِ اسْتَغْنَى عَنْ كُلِّ مَنْ هُمْ حَوْلَهُ، فَلَمْ يُشَارِكْ فِى مَنْفَعَةِ لِمجْتَمَعِه، وَلَمْ يُطْعِمْ جَائِعًا، وَلَمْ يَكْسُ عُرْيَانًا، وَصَدَقَ اللَّهُ العَظِيمُ إِذْ يَقُولُ: ﴿ **كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧)** ﴾ [العلق]، وَلَمْ يُفَكِّرْ ذَلِكَ الجَاحِدُ أَنَّ إِلَى اللَّه الْمُنْتَهَى وَالرُّجْعَى، وَأَنَّ أَكْفَانَ الإِنْسَانِ لَيْسَ لَهَا جُيُوبٌ يَحْمِلُ فِيهَا أَمْوَالَهُ إِلَى الدَّارِ الآخِرَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ يَحْمِلُ أَعْمَالَهُ مِنْ حَسَنَاتٍ وَسَيِّئَاتٍ ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)** ﴾ [الزلزلة].

قَـالَ الأَوْلادُ مَـعًا: وَصَـدَقَ اللَّهُ العَظِيمُ: ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ (٤١) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ (٤٢)** ﴾ [النجم].



قَالَ الوَالِدُ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ يَا أَوْلادِى.

ثُمَّ أَطْرَقَ إِطْرَاقَتَهُ المفَكِّرَةَ، وَبَعْدَ لَحَظَاتٍ رَفَعَ رَأسَهُ وَقَالَ:

لِنَعُدْ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى يَهُوذَا ذَلِكَ المؤْمِنِ، الَّذِى أَنْفَقَ أَمْوَالَهُ كُلَّهَا فِى سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَصْبَحَ فَقِيراً لا يَمْلِكُ شَيْئًا، فَمَاذَا تَظُنُّونَ أَنَّهُ فَعَلَ؟

قَالَ الأَوْلادُ: لا بُدَّ أَنَّهُ بَدَأَ يُفَكِّرُ فِى طَرِيقَةٍ يَنَالُ مِنْهَا بَعْضَ مَا يَسدُّ بِهِ حَاجَتَهُ وَحَاجَةَ أُسْرَتِهِ.

قَالَ الوَالِدُ: هَذَا مَا حَدَثَ، فَهُوَ لَمْ يَقْعُدْ فِى بَيْتِهِ يَنْعِى حَظَّهُ، وَلَمْ يَنْدَمْ عَلَى مَا فَعَلَ، وَلَكِنَّهُ قَالَ لِنَفْسِهِ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، فَتَوْفِيقُ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى عَمَلِ الخَيْرِ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى الإِنْسَانِ، وَلَقَدْ وَفَّقَنِى رَبِّى إِلَى أَعْمَالِ خَيْرٍ كَثِيرَةٍ، وَإِذَا كَانَ المَالُ كُلُّهُ قَدْ نَفَدَ فَقَدْ أَبْقَى اللَّهُ لِى صِحَّتِى، وَهِىَ وَحْدَهَا كَنْزٌ يَسْتَحِقُّ الحمْدَ وَالشُّكْرَ لِلَّهِ، وَسَأَسْتَخْدِمُ هَذِهِ الصِّحَّةَ فِى العَمَلِ، وَأَكْسَبُ بِعَرَقِ جَبِينِى مَا أَعُولُ بِهِ أَوْلادِى.

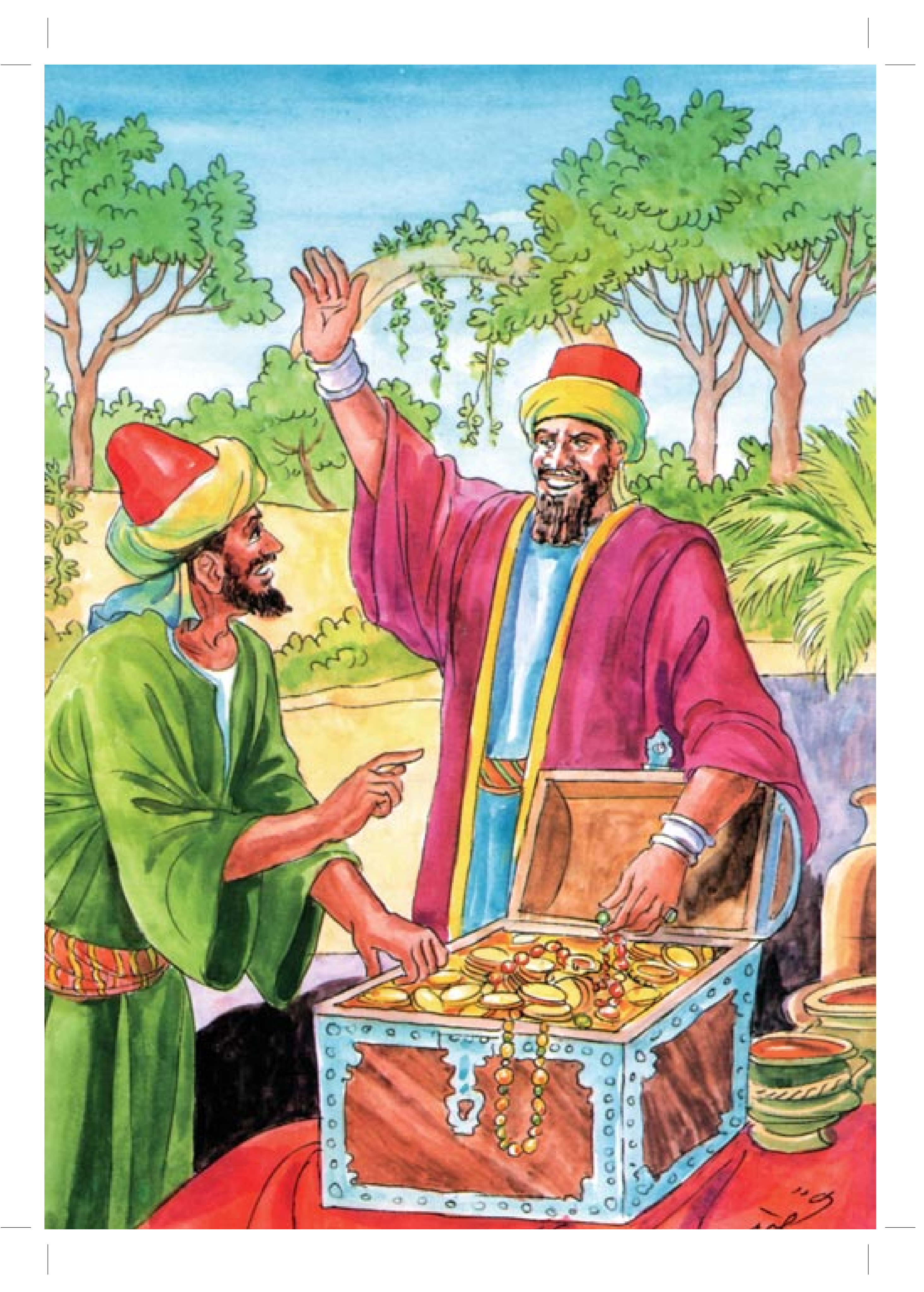
وَهَدَاهُ تَفْكِيرُهُ أَنْ يَعملَ بُسْتَانِيًّا، يَحرُسُ الأَشْجَارَ، وَيُصْلِحُهَا بِمَا يُجِيدُهُ مِنْ عَمَلٍ فِى هذَا المَجَالِ، وَلَمْ يَتَبَاطَأْ، وذَهَبَ إِلَى أَخِيهِ الغَنِىِّ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُلْحِقَهُ بِالعَمَلِ فِى أحَدِ بَسَاتِينِه، وَوَعَدَهُ بِأَنْ يَكُونَ حَارِسًا أَمِينًا وَمُجِدًّا فِى عَمَلِهِ، جَاهِداً عَلَى أَنْ يَسْتَثْمِرَ لَهُ البُسْتَانَ بِمَا يُرْضِى اللَّهُ.

قَالَ لَهُ أَخُوه: لَقَدْ وَرِثْنَا عَنْ أَبِينَا مَالاً كَثِيرًا اقْتَسَمْنَاهُ بَيْنَنَا نِصْفَيْنِ مُتَسَاوِيَيْنِ، وَلَمْ أَنَلْ شَيْئًا أَكْثَرَ مِمَّا نِلْتَ أَنْتَ، فَأَيْنَ ذَهَبَ مَالُكَ، وَمَاذَا صَنَعْتَ فِيهِ، وَكَيْفَ أَنْفَقْتَهُ كُلَّهُ فِى هَذِهِ الْمُدَّةِ الْقَصِيرَةِ؟

قَالَ يَهُوذَا: لَقَدِ اشْتَرَيْتُ بِمَالِى مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وَأَبْقَى، جَنَّةً عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ، لأَنَّ مَا عِنْدَنَا يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ.

قَالَ قَطْرُوسُ: آهٍ.. لَقَدْ نَسِيتُ أَنَّكَ مِنَ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ هَذَا الْقَوْلَ، وَيَعْتَقِدُونَ هَذَا الاعْتِقَادِ، وَتِلْكَ إِحْدَى سَفَاهَاتِكَ، وَإِنِّى لأَظُنُّ أَنَّكَ مَجْنُونٌ، فَلَيْسَتْ هُنَاكَ قِيَامَةٌ وَلا دَارٌ أُخْرَى غَيْرُ هَذِهِ الدَّارِ، نَحْيَا فِيهَا وَنَمُوتُ، وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ، وَتَقَادُمُ الأَيَّامِ بِنَا، وَإِنَّ جَزَاءَكَ عَلَى اعْتِقَادِكَ هَذَا هُوَ الحِرْمَانُ، فَلَيْسَ لَكَ عِنْدِى عَمَلٌ وَلا مَعُونَةٌ، انظُرْ مَا صَنَعْتُ أَنَا بِمَالِى، لَقَدِ اسْتَثْمَرْتُهُ وَنَمَّيْتُهُ حَتَّى أَصْبَحتُ عَلَى مَا تَرَى مِنَ الثَّرْوَةِ وَالحَالِ الحَسَنَةِ، وَذَلِكَ أَنَّنِى إِنْسَانٌ عَاقِلٌ عَرَفْتُ طَرِيقِى الصَّحِيحَ، فَتَاجَرْتُ وَرَبِحْتُ، وَاشْتَرَيْتُ البَسَاتِينَ وَالعَقَارَاتِ، أَمَّا أَنْتَ فَإِنْسَانٌ أَبْلَهُ، اشْتَرَيْتَ السَّرَابَ، فَكَانَ مَالُكَ الخَرَابَ، وَأَصْبَحْتَ مِنَ الْمُعْدَمِينَ، اخْرُجْ مِنْ عِنْدِى فَلَيْسَ لَكَ مِنِّى إِلا اللَّوْمُ وَالتَّقْرِيعُ، وَمَا لا تُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَهُ مِنْ كَلامٍ.

حَتَّى لَوْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فِى اعْتِقَادِكَ، وَقَامَتِ القِيَامَةُ كَمَا تَقُولُ، وَكَانَ هُنَاكَ بَعْثٌ وَنُشُورٌ، فَسَوْفَ أَكُونُ هُنَاكَ مِنَ الأَغْنِيَاءِ، وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّى لأَجِدَنَّ عِنْدَهُ خَيْرًا كَثِيرًا أَعْظَمَ مِمَّا أَمْتَلِكُهُ الآنَ، أَلا تَرَى أَنَّهُ قَدْ



فَـضَّلَنِى عَلَيْكَ فِى الدُّنْيَـا، وَأَعْطَانِى كُلَّ ذَلِكَ الغِنَى وَاليَـسَـارِ، وَلَـيْسَ مِنَ المَعْقُولِ أنْ يَحْرِمَنِى مِنْ ذَلِكَ هُنَاكَ.

قَالَ يَهُـوذَا المؤْمِنُ: اسْمَعْ يَا قَطروسُ، إِنَّ الفَرْقَ بَيْنَنَا كَـبِيرٌ، أَنْـتَ إِنْسَانٌ كَفَـرْتَ بِاللَّهِ الَّذِى خَلَقَكَ مِـنْ تُرَابٍ، فَأَنْتَ وَاحِـدٌ مِنْ ذُرِّيَّـةِ آدَمَ المخلُوقِ مِنْ تُرابِ الأَرْضَ، خَلَقَكَ اللَّهُ مِنْ نُطْفَـةٍ وَحَـفِظَكَ فِى بَطْنِ أُمِّكَ تِسْعَـةَ أَشْـهُـرٍ، تُكْبُرُ وَتَنْمُو، وَتَتَغَـيَّرُ أَحْوَالُكَ حَتَّى صِرْتَ إِنْسَانًا مُسْتَوِىَ الخِلْقَةِ فِى أَحْسَنِ تَقْـوِيمٍ، ثُـمَّ وَلَدتْكَ أُمُّكَ عَارِيًا، ضَـعِـيفًـا لا حَـوْلَ لَـكَ وَلا قُـوَّةَ، ثُـمَّ دَرَجْتَ عَلَى هَـذِهِ الأَرْضِ، وَصَحَّ جَـسَـدُكَ حَـتَّى أَصْـبَـحْـتَ رَجُـلاً، وَفِـى كُلِّ هَذِهِ الأَطْوَارِ لَـمْ يُهْـمِلْكَ رَبُّكَ وَلَـمْ يَنْسكَ، فَـرَزَقَـكَ المَالَ الكَـثِيـرَ، وَمَنَحَـكَ الجَاهَ العَـرِيضَ، وَأعْطَاكَ السُّلطَانَ الواسِعَ، وَمَعَ كُلِّ ذَلِكَ تُنْكِرُ فَضْـلَ اللَّهِ عَلَيْكَ، وَتَجْحَدُ نِعَمَهُ، وَلا تُؤَدِّى الشُّكْرَ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِى لا تُحْصَى.

أَمَّا أَنَا فَمُؤْمِنٌ بِهَذَا الإِلهِ الَّذِى لا تُؤْمِنُ بِهِ أَنْتَ، وَلَنْ أَكُفَّ عَنْ وَعْظِكَ وَتَذْكِيـرِكَ بِأَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَـلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَـدَلَكَ، لا يَعْـجَزُ أنْ يَبْعَـثَكَ مِنْ مَرْقَدِكَ فِى قَبْرِكَ، وَيَنْشُـرَكَ بَعْدَ مَوْتِكَ، وَيَجْـمَعَ عِظَامَكَ، وَيُسَـوِّى بَنَانَكَ، وَيُخْـرِجَكَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِى خُـلِقْتَ مِنْهَا وَدُفِنْتَ فِـيـهَـا، وَسَاعَـتَـهَـا لَـنْ تَجِـدَ هُنَاكَ مِنْ دَارٍ إِلا الجنَّةَ أَوِ النَّارَ.

قَالَ قَطْرُوسُ: اعْتَـقِدْ مَا تَشَاءُ، وَقُلْ مَا تُرِيدُ، فَلَنْ يُغَيِّرَنِى قَوْلُكَ، وَلَنْ يُزَحْـزِحَنِى عَنِ اعْـتِـقَـادِى بِأنَّه لا سَـعَـادَةَ إِلا فِى المَالِ. وَلا عِـزَّ إِلا فِى الجَـاهِ

وَالسُّلْطَانِ، وَإِنْ هِىَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا، مَنْ لَمْ يَتَمَتَّعْ فِيهَا فَلَنْ يَجِدَ مُتْعَةً بَعْدَهَا إِلا فِى صَمْتِ القُبُورِ.

قَالَ يَهُوذَا: آمَنْتُ بِاللَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، هُوَ رَبِّى ولا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا، وَقَدْ كَانَ الأَجْدَرُ بِكَ يَا قَطْروسُ، حِينَ تَدْخُلُ جَنَّتَكَ، أَوْ تَأوِى إِلَى أحَدِ بَسَاتِينِكَ أنْ تَقُولَ: هَذَا مَا شَاءَ اللَّهُ، فَلَيْسَتْ هَذِهِ البَسَاتِينُ وَالجَنَّاتُ، وَالفَوَاكِهُ والثِّمَارُ إِلا مِنَ اللَّهِ، هُوَ الَّذِى يَسُوقُ الأَرْزَاقَ إِلَى عِبَادِهِ، وَمَهْمَا كَانَ العِبَادُ أَغْنِيَاءَ وَأَصِحَّاءَ أَقْوِيَاءَ، فَلا حَوْلَ لَهُمْ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ، وَأنَّهُ سُبْحَانَهُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ.

وَأَطْرَقَ يَهُوذَا هُنَيْهَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأسَهُ فِى مُوَاجَهَةِ أَخِيهِ وَقَالَ:

يَا قَطْرُوسُ، إِنْ كُنْتَ تَرَانِى أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وولَداً، فَهَذَا حَقٌّ. وَإِنِّى لأَرْجُو أَنْ يُعْطِيَنِى اللَّهُ فِى الدُّنْيَا مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ جَنَّتِكَ، فَاللَّهُ هُوَ الرزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ، وَإِنْ لَمْ يَحدُثْ ذَلِكَ فِى الدُّنْيَا فَسَيَجِدُنِى رَبِّى مِنَ الشَّاكِرِينَ فِى السَّرَّاءِ، الصَّابِرِينَ فِى الضَّرَّاءِ، وَإِنِّى لأَرْجُو أَنْ أَكُونَ فِى الآخِرَةِ مِنَ الفَائِزِينَ، الَّذِينَ تَكُونُ لَهُم جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً.

وَتَذكَّرْ يَا قَطْرُوسُ أنَّ النِّعْمَةَ لا تَدُومُ، وَأَنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ وَلا يُهْمِلُ، وَأنَّهُ جَلَّ شَأنُهُ كَمَا يَرْزُقُ بِفَضْلِهِ يَنْتَقِمُ بِعَدْلِهِ، وَهُوَ الَّذِى يُؤتِى المُلْكَ مَنْ يَشَاءُ وَيَنْزِعُهُ مِمَّنْ يَشَاء، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ؛ لأنَّهُ سُبْحَانَهُ بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ.

يَا قَطْرُوسُ، إِنَّ جَنَّتكَ الَّتِى تَعْتَزُّ بِهَا، وَتَطْغَى بِسبَبِهَا، هِىَ مِنْحَةٌ مِنَ اللَّهِ، قَدْ يَسْتَرِدُّهَا فِى أَىِّ وَقْتِ يَشَاءُ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِى يُرْسِلُ المَاءَ مَطَرًا مِنَ السَّمَاءِ، أَوْ يَسْلُكُهُ يَنَابِيعَ فِى الأَرْضِ، فَيَجْعَلُ مِنْهُ حَيَاةَ الكَائِنَاتِ، وَهُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يُرسِلَ عَلَى جَنَّتِكَ هَذِهِ صَوَاعِقَ مِنَ السَّمَاءِ بَدَلاً مِنَ المَطَرِ، أَوْ يَجْعَلَ المَاءَ يَغِيضُ مِنْ تَحْتِهَا فَتَجِفُّ اليَنَابِيعُ، فَتُصْبِحُ تِلْكَ الجَنَّاتُ أَرْضًا بَيْضَاءَ لا مَاءَ فِيهَا وَلا ثَمَرَ وَلا نَبَاتَ، وَقْتَهَا سَتَطْلُبُ المَاءَ وَلَنْ تَجِدَهُ، وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِحْيَاءَ المَوَاتِ، وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ، وَأَنْتَ فِى الحَقِيقَةِ ضَعِيفٌ عَاجِزٌ، لا تَمْلِكُ لِنَفْسِكَ نَفْعًا وَلا ضَرًّا.

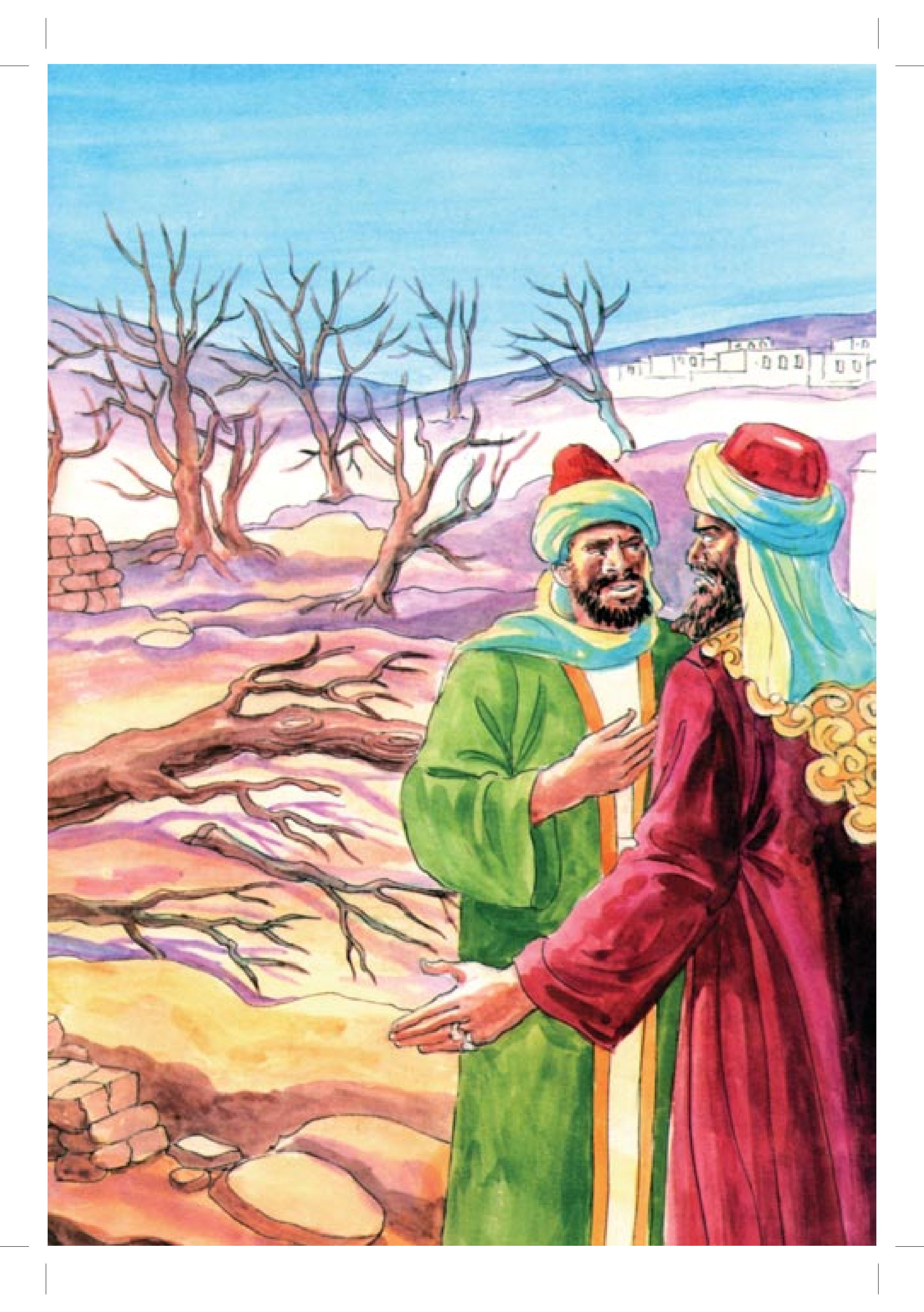
كَانَ قَطْرُوسُ يَسْمَعُ كَلامَ يَهُوذَا وَهُوَ مُسْتَغْرِقٌ فِى الضَّحِكِ سُخْرِيَةً وَاسْتِهْزَاءً، وَلَمَّا طَالَ المَقَامُ وَالمَقَالُ بِيَهُوذَا، تَرَكَ أَخَاهُ.. وَانْصَرَفَ يَبْحَثُ عَنْ مَكَانٍ آخَرَ لِلْعَمَلِ.

قَالَ أَشْرَفُ: وَلَكِنَّ القِصَّةَ لَمْ تَنْتَهِ بِانْصِرَافِ يَهُوذَا.

قَالَ الوَالِدُ: نَعَمْ، لا تَزَالُ لِلْقِصَّةِ بَقِيَّةٌ نَسْتَكْمِلُهَا بَعْدَ أَنْ تَمْنَحَنَا إِيمَانُ بَعْضَ الشَّرَابِ البَارِدِ نُرَطِّبُ بِهِ الحُلُوقَ فِى ذَلِكَ الجَوِّ الحَارِّ.

* * *

شَرِبَ الجَمِيعُ أَكْوَابَ اللَّيْمُونِ الَّتِى جَاءَتْ بِهَا إِيمَانُ، وَأَنْصَتُوا إِلَى الوَالِدِ الَّذِى اسْتَأْنَفَ حَدِيثَهُ فَقَالَ:



إنَّ اللَّهَ يُذكِّرُ عِبَادَهُ بِأَنَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ الغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ، وَلَكِنَّهُ يُمْهِلُ الظَّالِمَ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، وَهَكَذَا أمهلَ اللَّهُ قَطْروسَ هَذَا حِينًا مِنَ الدَّهْرِ، فَتَركَهُ يَزْدَادُ غِنًى وَثَرَاءً، ويَزْدَادُ مَعَ الإِمْهَالِ تَكَبُّرًا وَطُغْيَانًا، حَتَّى أرادَ أنْ يُوقِعَ بِهِ العِقَابَ الأَلِيمَ، فَأَرْسَلَ رِيحًا عَاصِفَةً سَلَّطَهَا عَلَى بَسَاتِينِهِ وَجَنَّاتِهِ، فَكَانَتْ تَمُرُّ عَلَيْهَا بِهَوَاءٍ حَارٍّ كَأَنَّهُ قَادِمٌ مِنْ جَهَنَّمَ، فَإِذَا بِفُرُوعِ الأَشْجَارِ تَتَحَطَّمُ، وَثِمَارِهَا تَتَنَاثَرُ، وَجُذُوعِهَا تَيْبَسُ، وَالماءُ مِنْ حَوْلِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا يَجِفُّ، وإِذَا بِالجَنَّةِ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا، وَكَأَنَّهَا لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ، وَإِذَا بِأَرْضِهَا بَيْضَاءَ لا أَثَرَ فِيهَا لِزَرْعٍ وَلا نَبَاتٍ.

وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ قَطْرُوسَ إِلا النَّدَمُ وَالتَّحسُّرُ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُ، وَيَتَمَنَّى أَنْ لَوْ كَانَ قَد اخْتَارَ الطَّرِيقَ الصَّحِيحَ مِنْ أَوَّلِ الأَمْرِ، واسْتَكَانَ لأَوَامِرِ رَبِّهِ، وَانْتَصَحَ بِمَا قَدَّمَهُ لَهُ يَهُوذَا مِنْ نَصَائِحَ، لَقَدْ أَصْبَحَ يَضْرِبُ كَفًّا بِكَفٍّ، وَيَعضُّ أَصَابِعَ النَّدَمِ، ويَقُولُ: يَا لَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّى أَحَدًا.

لَقَدْ نَدمَ وَقْتَ لا يَنْفَعُ النَّدَمُ، وَلَمْ يَجِدْ مِنْ أَهْلِهِ وَلا أَتْبَاعِهِ مَنْ يَنْصُرُهُ فِى نَكْبَتِهِ، أَوْ يَدْفَعُ عَنْهُ مَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ، وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا بِنَفْسِهِ وَلا قَادِرًا عَلَى اسْتِرْدَادِ مَا رَاحَ مِنْهُ، وَعَرَفَ أَنَّ أَخَاهُ يَهُوذَا كَانَ عَلَى حَقٍّ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ، لَنْ يُرجِعُ النَّدَمُ مَا فَاتَ.

قَالَ أَشْرَفُ: إِنَّهَا لَموْعِظَةٌ لِكُلِّ النَّاسِ، تَبْقَى بِبَقَاءِ القُرآنِ الكَرِيمِ بَيْنَنَا، وَلَيْتَ الخَلائِقَ تَنْكَشِفُ عَنْ أَبْصَارِهِمُ الغِشَاوَةَ، وَعَنْ بَصَائِرِهِمُ الحُجُبَ، فَيَعْرِفُوا الحَقِيقَةَ قَبْلَ فَوَاتِ الأَوَانِ.

قَالَ الوَالِدُ: يَا لَيْتَ، يَا وَلَدِى، يَا لَيْتَ، فَلْنَتَّخِذْ المَوْعِظَةَ، وَنَعْرِفْ أَنَّ الخَيْرَ كُلَّهُ مِنَ اللَّهِ، وَأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَعُودَ إِلَى اللَّهِ، فَكُلُّ مَا نُنْفِقُهُ إِنَّمَا نَضَعُهُ فِى يَدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِذَا كُنَّا نَمْلِكُ شَيْئًا، فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ مَشِيئَةِ اللَّهِ، يَجِبُ أَنْ نَحْرُسَهُ بِاعْتِقَادِنَا أَنَّهُ مِنْ مَشِيئَةِ اللَّهِ، فَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لأَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَلا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ النَّبِىُّ ﷺ: «لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ، إِذَا قَالَهَا العَبْدُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَسْلَمَ عَبْدِى وَاسْتَسْلَمَ».

وَاقْرءُوا يَا أَبنائِى الآيَاتِ، نَخْتَتِمُ بِهَا جِلْسَتَنَا المُبَارَكَة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) ﴾.

الأسئلة

١– ما العلاقة بين هذه القصة وسابقتها (أصحاب الكهف) ؟

٢– اقرأ فى مصحفك الآيات التى بين القصتين، واستنتج منها معنى آخر يربط بينهما .

٣– هل يفيدك أن تعرف أسماء أبطال القصص القرآنية، ولماذا؟ وهل تعرف لم أخفى القرآن الكريم أسماء بعض هؤلاء الناس؟

٤– الأسود بن عبد الأسد المخزومى، كان مشركًا من أهل مكة، ولم يقل المؤرخون أنه كان عنده بساتين دمرها الله، فلماذا يذكره المفسرون فى سبب نزول هذه الآيات؟

٥– كيف استثمر كل من الأخوين أمواله، وماذا كانت نتيجة هذا الاستثمار عند كل منهما؟

٦– اذكر ما عرفته من صفات يهوذا، وماذا صنع بعد أن صار فقيراً؟

٧– كان لقطروس أفكاره الخاصة، فكيف عاقبه الله عليها؟

٨– ما هى العظة التى نأخذها من هذه القصة؟

دروس النحو

المفعول به

المفعول به أحد الأسماء المنصوبة، وهو اسم يدل على من وقع عليه فعل الفاعل، مثل: شَرِبَ الوَلَدُ اللَّبَنَ، فالولد هو الذى حدث منه الفعل، وهو الفاعل كما عرفت سابقًا، واللبن هو الذى وقع عليه الفعل فنسميه مفعولاً به، وهو منصوب بواحدة من علامات النصب، هى الفتحة إذا كان اسمًا مفردًا، والألف إذا كان من الأسماء الخمسة مثل: رَأَيْتُ أَبَاكَ بِالأَمْسِ، والياء إذا كان جمع مذكر سالمًا، مثل: كَرَّمنَا النَّاجِحِينَ. إلى آخر ما عرفته من علامات نصب الاسم.

وهو قد يكون مظهرًا كما تقدم، وقد يكون ضميرًا متصلاً فيبنى فى محل نصب، مثل: اللَّبَنُ شَرِبَهُ الوَلَدُ، فالهاء ضمير متصل مبنى على الضم فى محل نصب لأنه مفعول به. وقد يكون ضميرًا منفصلاً مثل: إِيَّاكَ نَعْبُدُ، فكلمة إياك ضمير منفصل، مبنى فى محل نصب لأنه مفعول به. والضمير المنفصل عندما يكون مفعولا به يجب تقديمه على فاعله كما رأيت فى المثال.

ويجوز أن يتقدم المفعول به على فاعله إذا لم يكن هناك غموض فى المعنى، مثل: يَرْكَبُ القِطَارَ المُسَافِرونَ، ويَأْكُلُ الطَّعَامَ الجَائِعُونَ.

وإلى اللقاء فى القصة التالية

(موسى والعبد الصالح)

سلسلة
أطفالنا فى رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة

١- الفاتحة أم الكتاب
٢- خليفة الله
٣- يا بنى إسرائيل
٤- بقرة بنى إسرائيل
٥- هاروت وماروت
٦- بيت الله
٧- قبلة المسلمين
٨- وقاتلوا فى سبيل الله
٩- طالوت وجالوت
١٠- قدرة الله
١١- امرأة عمران
١٢- وإذ قالت الملائكة يا مريم
١٣- ابنة عمران
١٤- عيسى فى السماء
١٥- نصر الله
١٦- اختبار الله
١٧- حياة الشهداء
١٨- صلاة الحرب
١٩- الأرض المقدسة
٢٠- قابيل وهابيل
٢١- مائدة من السماء
٢٢- هل يستوى الأعمى والبصير
٢٣- إبراهيم يبحث عن الله
٢٤- بنو آدم والشيطان
٢٥- أصحاب الجنة وأصحاب النار
٢٦- نوح عليه السلام وقومه
٢٧- هود عليه السلام وقومه
٢٨- صالح عليه السلام وقومه
٢٩- لوط عليه السلام وقومه
٣٠- شعيب عليه السلام وقومه
٣١- موسى عليه السلام وفرعون والسحرة
٣٢- قوم موسى وقوم فرعون
٣٣- موسى عليه السلام وبنو إسرائيل
٣٤- بنو إسرائيل عبدوا العجل
٣٥- سفهاء بنى إسرائيل
٣٦- موسى عليه السلام والأسباط
٣٧- ضحية الشيطان
٣٨- دفاع عن الرسول
٣٩- وعد الله
٤٠- توزيع الغنائم
٤١- قوة الصابرين
٤٢- أسرى بدر عتاب وفداء
٤٣- يوم الحج الأكبر.
٤٤- يوم حنين.
٤٥- عزير آية الله للناس.
٤٦- الشهور العربية والأشهر الحرم.
٤٧- وإذ يمكر بك الذين كفروا.
٤٨- لا تحزن إن الله معنا.
٤٩- المنافقون فى المدينة.
٥٠- خذ من أموالهم صدقة.
٥١- مسجد التقوى ومسجد الضرار.
٥٢- المسلمون فى ساعة العسرة.
٥٣- الثلاثة الذين خُلّفوا.
٥٤- والله يعصمك من الناس.
٥٥- القرآن يتحدى.
٥٦- وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر.
٥٧- يا بنى اركب معنا.
٥٨- يوسف عليه السلام فى غيابة الجب.
٥٩- يوسف عليه السلام السجين المظلوم.
٦٠- سر قميص يوسف عليه السلام.
٦١- لقاء الأحبة.
٦٢- ثم استوى على العرش.
٦٣- حتى يغيروا ما بأنفسهم.
٦٤- زمزم نبع الأنبياء.
٦٥- مقام إبراهيم مصلًّى.
٦٦- ونبئهم عن ضيف إبراهيم.
٦٧- أصحاب الأيكة.
٦٨- فاصدع بما تؤمر.
٦٩- ويخلق ما لا تعلمون.
٧٠- وعلامات وبالنجم هم يهتدون.
٧١- رياحين البيوت شقائق الرجال.
٧٢- التى نقضت غزلها.
٧٣- سبحان الذى أسرى بعبده.
٧٤- فتية آمنوا بربهم.
٧٥- صاحب الجنتين.
٧٦- موسى عليه السلام والعبد الصالح.
٧٧- ذو القرنين.
٧٨- يا يحيى خذ الكتاب بقوة.
٧٩- واذكر فى الكتاب مريم.
٨٠- ذلك عيسى ابن مريم.
٨١- واذكر فى الكتاب إسماعيل.
٨٢- واذكر فى الكتاب إدريس.
٨٣- وكلهم آتيه يوم القيامة فردا.
٨٤- الوادى المقدس طوى.
٨٥- وجعلنا من الماء كل شىء حى.
٨٦- النار بردا وسلاما.
٨٧- حكمة سليمان عليه السلام
٨٨- وأيوب إذ نادى ربه.
٨٩- يونس عليه السلام فى بطن الحوت.
٩٠- سليمان عليه السلام وملكة سبأ.
٩١- موسى عليه السلام القوى الأمين.
٩٢- قارون وعاقبة المفسدين
٩٣- زيد... هو ابن حارثة.
٩٤- الأحزاب وجنود الله الخفية.
٩٥- جنات سبأ وجزاء الكفور.
٩٦- وفديناه بذبح عظيم.
٩٧- بيعة الرضوان وصلح الحديبية.
٩٨- جنة الدنيا ومتاع الغرور.
٩٩- أصحاب الأخدود والثابتون على الإيمان.
١٠٠- لليث رب يحميه.